قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم الدكتور :
عبد الله عبد الدائم

١ – مكانة الأدب العربي بين الآداب العالمية للدكتور طه حسين :

يومئ الدكتور طه حسين في فاتحة كلمته هذه الى مسألة ذات مساس بقلب العمل الذي توافر عليه مؤتمر الأدباء العرب ، وذلك حين يبين ان الحديث فرض عليه عن موضوع يعترف بأنه لا يحسنه . وحق له ان يومئ ويغمز ، فالمنظمون للمؤتمر لم يوفقوا الى طرح موضوعاته كما لم يوفقوا الى اسلوب تكليف الأدباء بها . فقد كنا نفهم ان يلجأ هؤلاء الى احد موقفين : اولهما ان يتخيروا موضوعات عملية تتصل بالمشكلات الراهنة الحية التي تراود الأدباء في عملهم الأدبي والتي تحتاج الى ان يأتمروا ليصلوا فيها الى بعض الحلول المشتركة الميسرة لعملهم هذا : كأن يبحثوا في وسائل صيانة الحرية الأدبية ، او في واجب الأدباء حيال المشكلات القومية التي تهز مجتمعهم العربي ، او في تنظيم الدعاوة لقضية فلسطين والمغرب ، او في اساليب نشر الأدب العربي في العالم ، او في تيسير سبل النشر امام الأدباء ، او في نظم الجمعيات الأدبية ، او في وسائل محاربة الأدب التافه او غيرها من المشكلات العملية التي تدرك حرفة الأدب .

والموقف الثاني الذي كان في وسعهم ان يلجأوا اليه ان يطلبوا الى كبار الأدباء ، ممن نضجت تجربتهم الأدبية وحرقتهم الحاجة الى فكرة ينشئونها ان ينقلوا الى جمهور الأدباء صورة عن هذه التجربة الحية ويحدثوهم عن تلك الفكرة التي غدت لهم مقضّة .

اما ان ينصرف منظمو المؤتمر عن كلا الموقفين فيفرضوا على بعض الأدباء موضوعات اكثرها بعيد عن مشكلات العرب الراهنة ومعضلات الأدباء الحية ، وأما ان تلقى امام الأدباء عناوين قد تثيرهم وقد لا تثيرهم ، واما ان يكون توزيع هذه العناوين على هؤلاء الأدباء توزيعاً لا تفسره اتجاهات هؤلاء ونزعاتهم ، فهذا ما لا يتفق وغايات اي مؤتمر ادبي.. وما كانت المؤتمرات الأدبية في يوم من الأيام قاعات للامتحان يسأل فيها الأدباء عن الجواب يقدمونه لبعض المسائل ، ويحاسبون بعد ذلك على جوابهم حساب الطالب امام الهيئة الفاحصة .

واذا غادرنا هذه الغمزة الى صلب ما جاء في حديث الدكتور طه حسين ، وجدناه يسعى لتقويم مفهوم في حاجة حقاً الى تقويم ، هو الاعتقاد السائد بأن الأدب العربي لا يكون عالمياً الا اذا قرئ في بلاد الغرب . وبهذا ينضو غشاوة كان من شأنها ان تفسد الحديث عن الصلة بين الأدب العربي والآداب العالمية . ومثل هذا الجلاء للأمور نجده عنده حين يبين الفارق العميق بين ما اصابه الأدبان اليوناني واللاتيني قديماً من ذيوع وانتشار ، وما اصابته اللغة العربية من ذلك وهو يقرر حقيقة جديرة بالذكرى حين يبين كيف استطاعت اللغة العربية ، من دون اكثر اللغات القديمة ، ان تجاوز حدودها وديارها لتبلغ بلاداً مترامية الأطراف ، وتصبح فيها لغة حديث ولغة علم . ومن هنا ينتهي الى القول بأن

يسر « الآداب » ان يعود الدكتور عبد الله عبد الدائم الى قرائها بعد انقطاع دام زهاء عام قضاه في باريس حيث أتم إعداد الدكتوراه في الفلسفة وناقشها وأحرزها بامتياز منذ شهرين.

والدكتور عبد الدائم يقصر تعليقه في هذا المقال على ابحاث مؤتمر الادباء العرب الذي عقد في دمشق في الشهر الماضي مفتتحاً بذلك النقاش في قضايا ادبية ما تزال من حياتنا الفكرية في الصميم . و « الآداب » تعتذر عن عدم تمكنها – بسبب تأخر صدور العدد الماضي – من تقديم نقد القصص والقصائد في باب هذا الشهر .

الحضارة العربية حضارة انسانية في اعماقها. وبهذا يفتح اما م السامع آفاقاً فسيحة ما تلبث حتى تذكره كيف تلتقي النزعة القومية بالانسانية عند العربي ، وكيف نجد في صلب بنية اللغة التي يتكلم بها اساساً لهذا اللقاء بين نزعتين طالما نفصل بينهما الغرب ولم ينتهوا الى توحيدها الا بعد لأي . ونعتقد ان هذه الفكرة وحدها كانت اهلا لفضل من البحث ، ولعلها جوهر الموضوع الذي عالجه الدكتور طه حسين . فمن عصب الموضوع حقاً ان ندرك ان الأدب العربي ، ومن ورائه اللغة العربية مع ما تحمله من فكر وفلسفة ونظرة الى الحياة ، يشتمل في اعماقه على موقف انساني ويحتضن طاقة على الذيوع والانتشار . هي طاقة الفكرة التي خلقت لتذيع وتنتشر لأنها بطبعها مبعوثة الى الخلق كافة . ان الكلمة العربية تحمل في ثناياها بذور انطلاقها شطر العالم ، شطر الانسان البعيد والقريب ، فهي مثقلة بنظرة الى الكون اساسها المشاركة والتآزر والعون. واللغة العربية ، كما يقول عميد الأدب العربي موجزاً : « تمتاز بشيء من قوة الطبيعة وتمتاز بشيء من السحر الخاص الذي ينفذ الى القلوب ويسيطر على العقول ويستأثر بملكات الناس واللفظة العربية لفظة كريمة كأبنائها — لها القدرة على الترحال والتطواف والدخول في مسارب العقول والنفوس . وهي قبل هذا وذاك تحمل — فيما نعتقد — شحنة من العاطفة والحمية قلما تستثيرها لفظة في لغة اخرى ، والعاطفة والحمية قطبان من حياة الانسان بهما يتأتى له التشارك مع سائر الناس . وليس من باب المصادفة ان تكون للكلم في حياة العرب تلك الآثار البينة التي عرفناها في ايامهم ووقائعهم وتاريخهم جملة : « فالألفاظ — القوى » ، ان صح التعبير وان صح ان نغير بعض الشيء من مصطلح أطلقه « فوييه Fouillé » على « الأفكار — القوى » ، نجدها اعمق ما نجدها في لغة العرب حيث يحمل اللفظ غالباً سهم انطلاقه الى عمل وتحوله الى فعل وحيث نجد الوحدة بين الأسلوب والعمل ، بين انحناءة اللفظة وانحناءة الفعل ، وحيث تجتاز العبارة حلبة العقل بما فيها من سدود وحدود ومقاومة لتسري في الدم والحياة عملا حراً طليقاً ينال كل انسان . أفلا يصح ان نقول الى حد بعيد ان العرب فتحوا العالم باللفظ والقلم قبل السيف ، وان رسلهم الى الدنيا كانت لغتهم وكانت أدبهم ؟ الم يقل اكثر الناس في لغة العرب ماقاله ذلك الأعرابي حين سمع القرآن : « إن لهذا الكلام لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق » ؟ ان الحديث عن بيان اللغة العربية يحتمل فيما نعتقد كثيراً من الدراسة العميقة ، وانه مايزال حديثاً لم يطرق بعد.

٢ — الأديب والناقد : لميخائيل نعيمه

هذه الكلمة نبتة من نبتات الأديب الكبير الذي اعتاد دوماً ان يعب من نبع الحياة دون ان ينهل من غدرانها الصغيرة الآسنة . فلقد عود قراءه ان يصدر في أدبه عن وحدة عضوية بينه وبين الحياة ، عن استلقاء ضمن روح الكون يغتذي منه ويرتضع أفاويقه . ولهذا تلقاه يجد الحرج كله في ان يسلط على عمل الحياة من يستوقف ذلك العمل ، وان يقيم امام الابداع وما فيه من حرارة واصالة عيوناً رقيبة باردة تنظر الى هذا الابداع من خارجه لترى الهيكل والصورة دون ان تلمس الدفء والرعشة . وهل يستطيع الحكم على عمل كله شوق وتوقد من مكث يلقي عليه النظرات السادرة المقرورة ؟ وهل تستطيع ان تنقل دفقة « القلق » الى انسان هو عنها في معزل ؟ وهل يعرف آلام المخاض من ينتظر الوليد ليعرف وزنه وحجمه وطوله ؟

تلك في رأينا روح الكلمة التي القاها الأديب الكبير في مؤتمر الأدباء . واذا كان النقد فهماً لحركة الكاتب من داخل ومحاولة للنفاذ الى خط ابداعه ، كان من الظلم لهذه الكلمة ان نناقشها ضمن معطيات هي غير معطياتها . انها في الواقع تنقد نفسها بنفسها حين تضع نتائج الابداع الأدبي في مصاف العمل الذاتي الحي الذي لا تحكم عليه الا الحياة . وهو يقطع الطريق في الواقع على كل من قد يتهمه بالهزء بالنقاد او الاقلال من شأنهم حين يبين لنا ماذا يفهم من النقد وحين يقول بكلام لا غشاوة عليه ان ثمة ناقداً وناقداً ، وان الناقد الذي يعتز به هو من « لا يعيش على حساب غيره كما تعيش الطفيليات على بعض النباتات والحيوانات ، بل ليعطيك من وهج روحه مقاييس للحق والخير والجمال تستهويك وتفرض احترامها عليك » . انه ، بتعبير آخر ، يريد ان يقول : لا يفل الحديد الا الحديد ولا ينقد نتاج الحياة الا حياة مخضلة مثلها ، وان الزهرة لا تنقد بأنها دون الثمرة في الطعم وانما تنقد بزهرة اكثر منها عبقاً وألمع جمالا . انه يريد من الناقد ان « يخلق » لا ان يعيش على فتات الموائد . وكم في هذا القول من صدق وخير في هذه المرحلة من حياتنا الأدبية حيث نجد متحدثين كثيرين عن

واجبات الأدب والأديب ولا نجد اديباً حقاً يرينا هذه الواجبات رؤيا العين وينقلنا اليها مباشرة دون ما مقدمات او تعريفات . وهل جاءكم خبر « فاليري » حين كان يتحدث عن الرقص ، ثم قدم الراقصة « ميراندا » قائلا انها خير ما يتحدث به عن الرقص ؟ انه لجميل حقاً ان نفرق مع الأديب الكبير بين النقد الخلاق وبين الضجيج ، بين المخاض والكلاّب ، وانه لعميق حقاً ان ندعو معه الى علاقة بين الناقد والكاتب هي « علاقة اطمئنان وثقة وسلام » .

والحق ان كل ما نود ان ننبه للأديب الكبير من نجوى ان اسلوب عرضه لهذه الأفكار الجميلة كلها اسلوب يثير الشبهات في بعض الأحيان ، بل يثير النقاد فيحملونه اكثر مما فيه . وكثيراً ما نجد في هذه الكلمة التي القاها اقوالا ما نظن الكاتب يود ان يقولها على اطلاقها ، فحركة فكره العامة لا تنبئ بها . ومن حقنا ان نذكر الاستاذ الكبير ان بعض القراء السامعين معذورون ان لم يستطيعوا دوماً بلوغ الجو العام الذي تصدر عنه سائر اجواء الكلمة والذي يفسر بعض نبواتها . ثم المعذرة من اديبنا ان سألناه كيف انجر الى تلك الموازنة بين نتاج الطبيعة التي تقذف بالغث والسمين ، وبالغث من اجل السمين ، وبين نتاج الأدب ، فقرر مثلا ان الأدب يستحيل ان يكون ادب عباقرة لا غير ، وذكر ان « لابد مع العباقرة من انصاف عباقرة ومن كتاب وشعراء ما زارتهم

قريبـــاً

الناس في بلادي

اول ديوان

للشاعر المصري المجدد

صلاح الدين عبد الصبور

منشورات دار الآداب

ص . ب ٤١٢٣

العبقرية حتى في الحلم » ؟ افيطلق هو كلمة «أدب » على كل ما دبج وكتب ام يضن بها على غير اهلها فيقصرها على الأدب الرفيع العبقري وحده ؟ ام أغرته حجج بعض فلاسفة العرب حين بينوا علة وجود السر وذكروا ان الخير لا يستبين ان لم يخلق الشر ؟

٣ – الاديب والدولة : لفؤاد الشايب

في هذه الكلمة المطولة نخترق دروباً وشعابا لا ندري ما الذي يحملنا اليها ولا نعلم لم الانطلاق فيها . ان السامع لها يحبس الأنفاس طويلا يرتقب ما يرده الى الواقع الحي فلا يظفر . انه ليخيل اليه ان صاحبها يفر من قلب الموضوع عن قصد ، ويبيت البعد عن كل ما يمس الصلة بين الأديب والدولة في بلادنا ، رغم انه اولى الناس بالحديث عنها . والا فما هذا الحج والاغتراب البعيد الى « هوبس » و « روسو » بعد أن نفضها الفلاسفة وعلماء القانون واشبعوها بحثاً ؟ وهل توقفت ابحاث الانسان عند هذين القطبين وعند من احتذوا حذوهما حتى نخصهما بمثل هذا الحديث المطول ؟ ان الصلة بين الفرد والدولة في هذا العصر الذي تغيرت فيه بنية الدول الحاكمة وظهرت فيه المذاهب الاجتماعية الشتيتة لم تعد تدرج ضمن منطق المباحث التي كان يقوم بها هوبس او روسو في عصر ما كانت الشعوب تعرف فيه معنى حكم الشعب بالشعب .

ام ان هنالك صلة عميقة خفية بين ما اتى به هذان المفكران وبين ما يريد ان يقوله الأستاذ الشايب ، من شأنها ان تفسر هذا الاصطفاء والايثار ؟ الحق ان بعض هذه الصلة قائمة فيما نعتقد ، واننا نفهم سبباً واحداً لهذا الوقوف عند هذين القطبين ، هو ترجح الكاتب نفسه بين الفكرتين اللتين جاء بهما هذان الفيلسوفان . فهو ، رغم الخاتمة التي ينتصر فيها لحرية الكاتب ، يظل في الواقع نهباً مقسماً بين الفرد والدولة لا يدري لأيهما يحكم ، لأنه ما يزال في مرحلة هذا الفصل المجرد بين فرد ودولة ، وما يزال حبيس قرني الاحراج كما يقول المناطقة . انه ما يزال يؤمن مع « هوبس » بأن اعطاء الدولة كل شيء أساس « لا يزال الآن وسيبقى ابداً من وراء كل بناء لدولة تمزقها الاضطرابات ويهدد سلامتها العدو » وهو في الوقت نفسه يشيد بحرية الفرد ومعاقله المقدسة ، سليلة الفكر الحر الجريء . فكأنه يتخذ لنفسه موقف ذلك

الرجل الذي حار بين طعم اللوذينج وطعم الفالوذج فقال : كلما حكمت لأحدهما ادلى الآخر بحجته .

ثم ما هي الحرية الفردية التي يريدها الكاتب للأديب ؟ انها في معظم ما ذكر لانعدو تلك الحرية التي تجعل الكاتب فوق المجتمع وفوق القيم الاجتماعية والخلقية والتي تعيد الى الأذهان تلك المشكلة البالية المكرورة حول اخلاقية الأدب ولا اخلاقيته. وطبيعي في مثل هذه الحال ان يظل الفصام قائماً بين الفرد والدولة ، وطبيعي ان يظل الأستاذالشايب في مرحلة القسمة الثنائية Dichotomie . وطبيعي بعد هذا كله الا يتبين لنا في نهاية المطاف ذلك الخيط الدقيق الذي يريد الكاتب ان يجريه بين الدولة والأديب وان نظل ضمن قطر التناقض العميق بينهما .

اذفي الصلة بين الأدباءوالدولة في بلادنا زاداً ثراً لمن اراد ان يمتاح الواقع الحي ويغرف من تجربة حارة يعانيها باعصابه وروحه . وان في تحرق الدولة عندنا لأدب جريءصادق ينفصل عن الفساد الاجتماعي ويأبي السير وراء كل ناعق ما يجري الأقلام فوارة جادة ، وما يبعدها عن التمطق بأحاديث الذاهبين والسباقين .

٤ – الادب والفنون الجميلة : لمحمود امين العالم

هذه الكلمة صورة موفقة من البحث الجدي المركز ، الذي جمع الى وفرة المعلومات القدرة على الايجاز المعبر ، والذي استطاع في صفحات قلائل ان يتطرق الى مشكلات غنية موحية . وهي قدكتبت فوق ذلك بأسلوب علمي مطمئن قلما تجد فيه صيحات خطابية او جرحاً هائجاً . انها مطمئنة فيما تجزم ، وهي من اطمئنانها في قوة ، ومن عمقها في وضوح . وهي تعرف ما ينبغي ان يقال ومالا ينبغي ، ولا تفهم معنى « الطيش » الأدبي . هذا الى انها كلمة محددة الموقع الجغرافي والزماني ، فهي تدري – وقلما يدري سواها – انها تقال في بلد عربي وفي مرحلة من نضال العرب . ولعلها توحي الى السامع والقارئ في كثير من التواضع الرفيع انها تمشي على ستحياء وأن صاحبها يأبي ان يشقق الألفاظ الكثيرة ، وينتق لمعاني العريضة باحثاً عن موضوع لا يعنيه فيه غير صلته بأمته بمرحلتها التاريخية الحاضرة .

وهنا يحق لنا ان نحاسب الأستاذ العالم بعض الحساب وان نضع بعض التساؤل في كفة الميزان الأخرى. فهل وفي الأستاذ العالم حديث الصلة بين الأدب والفنون الجميلة في بلادنا العربية ما يستحقه من بحث وتعمق ؟ واذا جازله الايجاز المحمود في الشق الأول من الموضوع حيث يلخص بعض التجربة العالمية بهذا الشأن ، فهل يجوز له ان يكتفي بهذا العرض السينمائي الخاطف في الشق الثاني حيث الحديث عن الفنون وتضامنها في بلدنا العربي ؟ ان كثيراً من الومضات الخاطفة التي أتى بها في هذا الباب جديرة بفضل من البحث والايضاح . وهي كالبرق تومض فتستفزنا دون ان تنير لنا السبل . وهل نغتفر له مثلا ان يضن علينا بالحديث المفصل عن تلك الفنون الجماهيرية التي اشاد بقيمتها ؟ اليس في هذا الموضوع منطق خصيب لأديب مثله يريد ان يجعل من الأدب اداة انضاج للمجتمع وتوجيه للمشاعر القومية ؟

اطلبوا « الآداب »

في الدار البيضاء (مراكش)

من

مكتبة الزيات

شارع مناستير ١١٨ – ١١٦ – ١١٤

صدر الكتاب المنتظر

الوان من القصة اللبنانية

بأقـــلام

سهيل ادريس – نبيل خوري – انعام الجندي – موريس كامل – يوسف حبشي الأشقر – فيصل المسكي – سميرة عزام – سعيد تقي الدين – احمد سويد – يونس « الأبن »

سارع لشراء نسختك قبل نفاده من الاسواق

الثمن ليرة واحدة

٥ – وسائل تعريف العرب بنتاجهم الأدبي الحديث
لبدر شاكر السياب :

في هذه الكلمة روح المؤمن بقضية، الحامل لرسالة . فصاحبها ممن لا يقف من مشكلات مجتمعه ومشكلات الأدب فيه موقف من يحلو له أن يثقب اللآلىء ويصوغ عقودها في حلبة صراع الشعوب ومصرعها ، بل يعرف معنى المرحلة التاريخية التي تجتازها الأمة العربية ويؤمن بتاريخية Gechchichkeit المشكلات والمباحث. انه لا يفصل موضوعه عن زمانه ومكانه ولا يعنيه ان يثير مباحث فقهية عائمة عن صنوف الأدب في العالم وعما تمكن ان يصدر في المستقبل البعيد من نتاج ادبي عربي . انه ابن السنة السادسة والخمسين بعد التسعمائة والألف وابن هذا المجتمع العربي : انه يدرك مسؤوليته ككاتب عليه ان يساعد على انبعاث الفجر الذي أومض .

فلهذا فمن الابتعاد عن منطقه ان يأخذ عليه بعضهم الدفاع العنيد عن الأدب الواقعي الملتزم. ان المسألة – كما ذكر وألحف – مسألة توقيت . انه يقول قولا لا جمجمة فيه. اننا نخوض معركة يتقرر من فوزنا او خسارتنا فيها وجودنا كأمة ذات فن وحضارة ورسالة .. انه يعود فيقول « ان الأدب الذاتي ، في هذه المرحلة من حياة امتنا ، ترف لا غير» فهل نرذل قول من ينادي كل مثقف واديب في ايام الحرب لحمل السلاح في معركة البقاء ؟

اما ان نبحث عن موضوع الالتزام وعدمه ، بصرف النظر عن زمان معين ومكان معين ، فهذا أثر لم يدعنا الأستاذ السياب الى الخوض فيه ، ولانود المناقشة حوله . وهو في رأينا موضوع مطروح طرحاً زائفاً ومشكلة من تلك المشكلات المختلقة الصنعية .

من هذا الأفق اذن ينظر الأستاذ السياب الى الأمور ، ومنه يريد ان يطل على معالجة موضوع الوسائل الخاصة بتعريف العرب بنتاجهم الأدبي . فهو لا يريد ان يفصل بين الفكرة والوسيلة . بل هو يريد ان يقول ان الفكرة تحمل في صلبها وسيلة نشرها وتضم في ثناياها بذور انقلابها الى عمل ونشاط. انه يريد ان يتجاوز ذلك البحث البالي في الوسائل دون النظر الى اتحاد الهدف بالوسيلة حينما تصفو الفكرة وتستقيم الأشياء . وهل كالأدب شيء اجدر بأن تتحد فيه الغاية والأسلوب المؤدي اليها ؟

ان الكاتب يتلمس حصيناً من الرأي حين يرى ان واقعية الأدب هي بحد ذاتها وسيلة من وسائل التعريف به . وانه يدعو الى موقف جدي شجاع حين يحمل الأدباء وحدهم مسؤولية انتشار ادبهم . انه يذكرهم ان الأدب القوي الحي لابد ان يذيع الحياة من حوله ويضم الناس اليه . انه يريد ان يحول بينهم وبين اضفاء المسؤولية على غيرهم – وهي في الصميم منهم – ليبين لهم انهم وحدهم يتحملون مسؤولية ما يلقاه ادبهم من نقص الذيوع وضعف الانتشار . فالأدب الذي لا يحمل معه قلوب الشعب عسير ان يسير الى الشعب ، والفكر الذي لم يغتذ من حرارة تلك الملايين العربية الظامئة الى الحرية الطامحة للكرامة لا يستطيع ان يغذي مثل هذه النفوس السخية ولا يجوز له ان يطلب اليها ان تنهل منه . ان هذه النفوس – على جهلها وسذاجتها – اطول باعاً في الأدب من الأدباء حين تثور لقوميتها وتتحرك اوتارها على انغام الحرية والعزة .

دمشق – كلية التربية **عبد الله عبد الدائم**

هارون هاشم رشيد

يقــــدم

عودة الغرباء

ديوان شعر حوى اروع واقوى القصائد القومية التي تصف مآسي النكبة وتصور احاسيس النازحين وتصميمهم على العودة .

الديوان الذي تنتظره الالوف في شتى اجزاء الوطن العربي

نشر وتوزيع : المكتب التجاري – بيروت

وكيل التوزيع في مصر : الشركة العربية – القاهرة

١٦٠ صفحة **١٥٠ قرشاً**